# " التقنية والعقل الأداتي:
# جدلية الهيمنة والتحرر في فلسفة هابرماس"

م.د. حسين عبد علي

art.platoo_platoo@uoanbar.edu.iq

جامعة الانبار- كلية الآداب – قسم علم الاجتماع

**الملخص:-**

ينطلق هذا البحث من تساؤل فلسفي عميق: هل التقنية المعاصرة مشروع هيمنة رأسمالي يُعيد إنتاج الاستلاب عبر أدوات تبدو عقلانية ومحايدة، أم أنها إمكان للتحرر الإنساني إذا ما ارتبطت بالوعي النقدي؟ من خلال استقراء مشروع يورغن هابرماس وتفكيك العقل الأداتي كما صاغته مدرسة فرانكفورت، يتّضح أن التقنية ليست موضوعا محايدا، بل بنية تتشابك فيها السلطة بالمعرفة، وتتحول إلى أداة تسليع، تُفرغ الإنسان من إنسانيته، وتعيد تشكيله ضمن منظومات الضبط والسيطرة.

يمثّل العقل الأداتي عند هوركهايمر وأدورنو، ثم عند هابرماس، نقطة انعطاف في فهم الحداثة الغربية: عقلانية لا تسعى للفهم أو التحرر، بل لإحكام القبضة على الطبيعة والإنسان باسم الكفاءة والنفعية. وهذا الانحراف في مسار التنوير أفضى إلى اغتراب وجودي، جعل الإنسان الحديث كائنا مُفرغا، لا يتواصل بل يُدار.

ينتقد هابرماس هذا المسار دون القطيعة مع الحداثة، بل يسعى لتأسيس عقلانية تواصلية تُعيد الاعتبار للحوار، والفضاء العمومي، والفاعلية الأخلاقية. وهو بذلك يتجاوز الرؤية التشاؤمية للجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، ويعيد للحداثة بعدها الإنساني التشاركي.

إن التحرر من هيمنة التقنية لا يتحقق برفضها، بل بفك ارتباطها بالأيديولوجيا، وتأسيس وعي نقدي قادر على مساءلة أدواته ومعرفة شروط وجوده. بهذا المعنى، تصبح الفلسفة لا تأملا مجردا، بل فاعلية تاريخية تُعيد توجيه العقل نحو مشروع تحرري يدمج الإنسان بالعالم، لا يفصله عنه.

**الكلمات المفتاحية:** التقنية، هابرماس، العقل الأداتي، الحداثة الغربية.

# "Technology and Instrumental Reason: The Dialectic of Domination and Emancipation in Habermas's

*dr: assistant professor: hussein abd ali greedy*
*Department of Sociology, College of Arts, University of Anbar*
*art.platoo_platoo@uoanbar.edu.iq*

## *Abstract:-*

This study emerges from a fundamental philosophical inquiry: Is contemporary technology merely a capitalist project of domination, reproducing alienation through seemingly rational and neutral mechanisms, or can it serve as a means of human emancipation when coupled with critical consciousness? Through an analytical engagement with Jürgen Habermas's philosophical trajectory and the critique of instrumental reason articulated by the Frankfurt School, this research reveals that technology is not a neutral apparatus. Rather, it is a structure in which power and knowledge are interwoven, transforming into a mechanism of commodification that strips the human being of their subjectivity and reinserts them into systems of control and regulation. Instrumental reason, as diagnosed by Horkheimer and Adorno and later refined by Habermas, marks a deviation within the Enlightenment project: a rationality no longer concerned with understanding or liberation, but with control, efficiency, and utility. This shift results in a profound existential estrangement, wherein the modern subject is no longer an agent of meaning, but a managed and objectified entity. Habermas confronts this trajectory not by rejecting modernity, but by striving to reconstruct its rational foundations through his concept of communicative rationality, which emphasizes dialogue, the public sphere, and ethical agency. In this, he surpasses the pessimism of the first

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة:

يتبادر إلى أذهاننا ونحن نتناول موضوعات هذا البحث، سؤالٌ جوهري: هل أنّ التقنية التي بين أيدينا هي مشروع رأسمالي أيديولوجي سَخَّر كل جهوده من أجل الهيمنة والسيطرة علينا؟ وإذا افترضنا أن الواقع كذلك، وأنّها مشروع للهيمنة يحوّل عقولنا إلى أدوات خاضعة له، فهل يمكننا ببساطة أن نتحرّر منها دون استخدامها ولو ليومٍ واحد؟ والجواب، بالتأكيد، سيكون بالنفي؛ فقد سَخّرت التقنية الطبيعة بشكلٍ يجعلها صالحة تماما للاستخدام البشري، وتحولت من مجرد أداة للهيمنة إلى وسيلة وحلول كامنة في طبيعتنا تساعدنا على حل مشكلاتنا، بدءًا من الطب وصولا إلى أبسط الاحتياجات البشرية الثانوية.

ولو كانت التقنية بهذا السوء فعلًا، لما وصلت اليوم إلى ما بلغته من تقدمٍ ملحوظ ومقبول في الأوساط الاجتماعية، برغم تفاوتها بين المجتمعات. وقد خرجت بعض المجتمعات من دائرة هيمنة السلطات القمعية، في حين دخلت مجتمعات أخرى ضمن هذه الدائرة، ومصيرها في النهاية سيكون الخروج منها، وهذا الخروج مشروط بالوعي المجتمعي الذي يُحدِّد مصيره بمساعدة التقنية، ويُخرج الإنسان من العملية الأداتية التي تُمارَس عليه، ليمارس حريته البسيطة إذا اقتنع بذلك بنفسه. فالأمر يعود إليه أولا، ولا يمكن لأي سلطة في العالم أن تختزل الوعي الإنساني في محور ضيّق، أو – بمعنى أدق – لا يمكن حبس الإرادة البشرية في نسقٍ معين، إلا إذا كانت هذه البشرية حبيسة قناعات تتصف بالأبوية، فعندها سيتحوّل المجتمع بسهولة إلى أداة في يد السلطة، ويتحول العقل الجمعي إلى أداة قمعية لكل صوتٍ أو كلمةٍ تصدح هنا أو هناك، فيُكبَح هذا الصوت سياسيا أو اقتصاديا أو على المستوى التقني العالي.

وفي هذا البحث المتواضع، تناولنا نقد العقل التقني عند هابرماس، وأيضا لدى من سبقوه في مدرسة فرانكفورت، وتطرقنا إلى التأثيرات التي أحاطت بهابرماس منذ النشأة وصولا إلى آخر الآراء التي طرحها، والتي تمثل انطلاقة لوعيٍ مختلفٍ وجديد حول جذور المدرسة الفرانكفورتية الماركسية الأصل، والتي ظلت حتى آخر عهدها تنادي بتحرر الإنسان من مختلف أشكال العبودية والهيمنة التي تُمارس عليه، انطلاقا

من أن على الفيلسوف أن يحدِّد مسار الحياة الاجتماعية، وأن يشارك في مسار السياسة لكي تتعقلن هذه الحياة بحيادية وتنسجم مع الإنسان، الذي سيقبل العقلانية التواصلية بوصفها مشروعا إنسانيا بحتا، هدفه خلق فرص متكافئة لجميع فئات المجتمع الواحد، وتذويب فكرة الثورة والصراع التي وُلدت مع كارل ماركس.

فالنَسق الجديد أكثر ذكاء، إذ قام بتذليل الصعوبات من خلال خلق مؤسسات ولائية لسلطتها من أجل المحافظة التامة على النظام، دون اللجوء إلى العنف، وخلق ولاءٍ مطلق لها. وتبقى مشكلة هذا البحث في تصديق الطرح الذي تمثله مدرسة فرانكفورت وهابرماس، والذي يضعنا في خانة ضيقة، تُسمّى خانة المُهيمَن عليهم من قبل سلطات تقنية مستقلة عنّا، دون قدرتنا على تغيير واقعها. فبدونها نحن مجرد رجعيين لا قيمة لنا في نظر أقراننا في المجتمع.

لكن هذا الموضوع أيضا يطرح قضية في غاية الأهمية، وهي قضية الوعي الإنساني؛ فالأفكار التي طرحتها مدرسة فرانكفورت بأجيالها المختلفة، كانت بمثابة صعقة إنعاش للعقل كي يستيقظ من سباته، وينقد الهيمنات المختلفة التي تُمارَس بحقنا دون أن ندري، وهنا – برأينا – كانت المدرسة ناجحة تماما في هذا الطرح.

## اولاً: يورغن هابرماس: حياته وأصوله الفكرية

وُلد الفيلسوف يورغن هابرماس عام ١٩٢٩م في مدينة دوسلدورف الألمانية، ونشأ في أسرة من الطبقة المتوسطة في ألمانيا، كانت متأقلمة مع النظام النازي من دون أي نقد أو تأييد صريح له. وفي عام ١٩٤٥م، تطوّرت آراؤه السياسية، وكان حينها في السادسة عشرة من عمره، حيث انضمّ إلى حركة شباب هتلر. وفي شبابه، درس الفلسفة في جامعات غوتنغن وزيورخ وبون، وانغمس في دراسة أعمال مارتن هايدغر[*1] خلال

[*1] مارتن هايدغر (١٨٨٩–١٩٧٦)، فيلسوف ألماني، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل، مؤسس الظاهريات، ثم أصبح أستاذا فيها عام ١٩٢٨. وجّه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. ومن أبرز مؤلفاته: الوجود والزمان (١٩٢٧)، دروب موصدة (١٩٥٠)، ما الذي يُسمى فكرا؟ (١٩٥٤)، المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا (١٩٦١)، نداء الحقيقة، وفي ماهية الحرية الإنسانية (نُشر بعد وفاته عام ١٩٨٢)، ونيتشه (١٩٨٣).

تلك الفترة، لكنه عاد ونقض أفكاره بسبب تهرّب هايدغر من الحقيقة ورفضه الاعتذار عن أفعاله أثناء الحقبة النازية.[١]

يُعد هابرماس من فلاسفة الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت، المعروفة بالمدرسة النقدية، وهو أشهر ممثليها في الحقبة المعاصرة[٢]. درس الدكتوراه في الفلسفة، وكتب أطروحته حول: "النزاع بين المطلق والتاريخ في فكر شلينغ"، والتي نُشرت عام ١٩٥٤م. وفي الفترة ما بين ١٩٥٦ و١٩٥٩، عمل مساعدا للفيلسوف ثيودور أدورنو[*٣] (١٩٠٣–١٩٦٩) ، أحد أعمدة مدرسة فرانكفورت .وثم أصبح أستاذا للفلسفة ومديرا لمعهد ماكس بلانك في ستاربرغ الألمانية.[٤]

أهم ما يميز أعمال هابرماس هو نقده للنزعة الوضعية، بصورة خاصة النزعة الوضعية في كتابات كارل ماركس[٦](1818-1883) [*٥]. ولا جدال في انتمائه إلى الفكر اليساري، إلا أنه ينتقد التقاليد الفكرية التي ينتمي إليها، وهذا شيء ربما يكون غير متوقع منه، وأنه قدم نقدا جذريا للماركسية.[٧]

## ثانياً: تنقسم مسيرة هابرماس الفكرية إلى عدة مراحل:

**المرحلة الأولى:** انشغل بنقد شامل للفكر الوضعي الذي ساد وتطور في الغرب في غضون التطور والنضج الذي أصبح عليه النظام الرأسمالي، والإنجازات التي وصلت

[١] ينظر: فنلسيون، جيمس جوردن: يورغن هابرماس "مقدمة قصيرة جدا"، ترجمة: أحمد محمد الدويبي، مؤسسة هنداwi للتعليم والثقافة، الطبعة ١، ٢٠١٥، ص. ١٠.

[٢] ينظر: المحمداوي، علي عبود: الاشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل، ط١، بيروت،٢٠١٥، ص.٢٨-٢٧.

[*٣] تيودور ادورنو١٩٦٩-١٩٠٣ فيلسوف ألماني ولد في فرنفكفورت ينحدر من وسط موسيقي و رائد من رواد مدرسة فرانكفورت واشتهر بدراسته للفن والجمال والموسيقى.

[٤] ينظر: ليشته ، جون: خمسون مفكرا معاصرا ، ت: فاتن البستاني،مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت،٢٠٠٨،ص،٣٧٦.

[*٥] كارل ماركس"١٨٨٣_١٨١٨" فيلسوف واقتصادي وعالم اجتماع ألماني، صاحب النظرية الاشتراكية والشيوعية الحديثة. له الكثير من المؤلفات المهمة أهمها: رأس المال.

[٦] ينظر: المحمداوي علي عبود: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل،ص٣١.

[٧] ينظر: كريب ، ايان : النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هاابرماس، ت: محمد حسن غلوم، مجلة عالم المعرفة ، ع٢٤٤، الكويت ، ١٩٩٩، ص٣٠٥-٣٠٦.

إليها العلوم الطبيعية والتقدم التكنولوجي، وكيف استغل هذا الفكر العقلانية كحركة للتنوير ونموها لتحقيق الحرية والعدل.

**المرحلة الثانية:** انشغل هابرماس ببناء نظرية اجتماعية قائمة على تأسيس حركة التنوير الجديدة، واستأنف القديمة وصياغة عقلانية تسترشد بالمنجزات العصرية لعلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع وعلوم اللغة والاتصال وعلم النفس التربوي التطوري بهدف إعادة فتح الطريق من أجل التحرر والخلاص.[١]

**المرحلة الثالثة:** فهي مرحلة تحددت عند هابرماس لبلورة مفهوم الحداثة، ونقده لتيار ما بعد الحداثة.

**المرحلة الرابعة:** انشغل فيها هابرماس بالتأسيس الفلسفي للنظرية السياسية.

**المرحلة الخامسة:** فهي تتمثل في محاولة هابرماس حل النزاع القائم بين الدين والعلمانية وذلك عبر إنتاج فكرة جديدة عن المجتمعات المعاصرة والتي يسميها هابرماس بالمجتمعات ما بعد العلمانية.

لهذا فنحن نفهم التحول في الاهتمام البحثي لديه على أنه وعي تحولي معرفي، لهذا فنحن نفهم التحولات في الاهتمام البحثي على أنه وعي تحولي معرفي فلسفي، وأنه يبرز كوعي تراكمي وليس عن تغيير في مجال الاهتمام، ويحاول أن يكون الفيلسوف الفعال والحاضر في مجتمعه.[٢]

## ١. المنطلقات الفلسفية لهابرماس

يتوضح فهم هابرماس بصورة أكثر من خلال الرجوع إلى الجذور والمنطلقات الفلسفية التي اعتمدها وناقشها ونقدها. وإن النسق الذي أنتجه هابرماس مدينا أو متأثرا وقائما



[١] ينظر: بوتور، توم: مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجريس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤، ص. ١٦٠-١٦١.
[٢] ينظر: المحمداوي، علي عبود: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص. ٣٤.

على العديد من المؤثرات، وسنحاول أن نقتصر هنا على النماذج الأكثر تأثيرا عليه والأكثر أهمية له، ومن هذه النماذج:[1]

**٢. إيمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤)**

استفاد هابرماس كثيرا من الفيلسوف كانط، وكان له التأثير الأكبر عليه، ويمكن أن نلمح هذا التأثير في مجالين (المجال الأخلاقي، والمجال السياسي)، ففي المجال أو المستوى الأخلاقي، وظف مفهوم الكلية الأخلاقية لتأسيس أخلاقيات الحوار والمناقشة بدلا من أخلاقيات الواجب وأخلاق المنفعة. إن هذا لم يمنع هابرماس من أن ينتقد كانط بتأسيسه للأخلاق على الذات وحدها.[2] إلا إن هابرماس يوافق كانط في "أن دور الأخلاق أو العقل العملي ليست وصف أمور الواقع أو التنبؤ بها، وإنما ينحصر مجالها فقط في أن تخبرنا كيف يجب أن نحيا وماذا أن نعمل، وهذه كانت محاولة هابرماس في تأسيسه لأخلاقيات النقاش[3]. أما في مجال السياسة، فقد وظف هابرماس مفهوم الفضاء العمومي (كانط) في كتابه التحول البنيوي للفضاء العمومي، ولطرح نظرية في الديمقراطية التشاورية، بالإضافة إلى تأثره الواضح بمشروع كانط حول السلام الدائم.[4]

**٣- فردريش هيجل (١٨٣١-١٧٧٠)**

فيلسوف مثالي وُلد في ألمانيا في مدينة شتوتغارت، ومات في برلين. يُعد شخصية محورية في الفلسفة المثالية الألمانية وفي فلسفة القرن التاسع عشر بوجه عام.استطاع هابرماس الاستفادة من فلسفة هيجل، خاصة محاضراته، حيث إن هابرماس وجد ضالته في التحرير الهيجلي للذات التي اعتبرها هوية العام والمفرد، فالأنا هي عام ومفرد في وقت واحد، فالذات عنده هي علاقة تفاعل، وإن مقصد هيجل من ذلك هو الوسيلة

[1] ينظر: المحمداوي، علي عبود. الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل. ص. ٣٥.
[2] ينظر:علوش، نور الدين. "نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس: قراءة في المنطلقات والأبعاد." مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٣، www.mominoun.com/articles. تاريخ الزيارة ١٢ نيسان ٢٠١٨.
[3] ينظر: المحمداوي، علي عبود. الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل. ص. ٣٦.
[4] ينظر:علوش، نور الدين. "نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس: قراءة في المنطلقات والأبعاد.

التي تتواصل بها الأنا مع الأنا الأخرى، ومن خلال ذلك تتحول الاثنتين إلى ذاتين عن طريق التبادل. فالإنسان يعترف عمليا بالآخر من خلال استقبال ذات الآخرين، ومن هنا تأتي أهمية الحوار كتفاعل يركز عليه هابرماس.[١]

**٤- كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)**

يُعد ماركس مؤسس الشيوعية العلمية والفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي، وصاحب النظرية الماركسية. ويمثل ماركس مرجعا مهما لهابرماس وفكره بصورة خاصة، ولمدرسة فرانكفورت بصورة عامة. حيث يؤكد هابرماس أن مدرسة فرانكفورت قد أُنشئت على شكل أفكار ماركسية بقوله: "إن الماركسية ليست إلا جزءا من فكر التنوير، وهو الفكر العقلاني الذي يرى أن المجتمع جزء من العالم الطبيعي[٢]." وكانت مهمة مدرسة فرانكفورت بلورة مشروع تنويري جديد، مما جعل منظّري هذه المدرسة يصفون محطتها الأولى بالطابع الماركسي الثوري، وهذا المشروع المرتبط بالماركسية أثّر فيما بعد في كل ورثة المدرسة وليس هابرماس فقط[٣]. أما هابرماس فإنه يأخذ على عاتقه المرجعيات التي أجرتها مدرسة فرانكفورت المتأثرة بالنظرية الماركسية، ويضيف إليها مرجعيته الخاصة.[٤]

**٥- إدموند هوسرل (١٩٣٨-١٨٥٩)**

وظّف هابرماس "العالم المُعاش" من نظرية رائد الفينومينولوجيا، إذ إن هوسرل يميّز بين نوعين من الحقائق والعوالم، فصنّف حقائق العالم المُعاش، وقال إن هناك أيضا حقائق العالم الموضوعي. فالعالم المُعاش حقائقه تاريخية وذات صلة بتجارب وخبرات مشابهة لسياقات ثقافية معينة، أما العلوم الموضوعية فإن حقائقها كونية غير ثقافية، ولا

[١] ينظر: هابرماس، يورغن: العلم والتقنية كـ"أيديولوجيا"، ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٢، ص. ١٩.
[٢] أبو النور حسن، أبو النور حمدي: الأخلاق والتواصل، التوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢، ص. ٣١.
[٣] يُنظر: المصدر نفسه، ص. ٣١.
[٤] هابرماس، يورغن: بعد ماركس، ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، سوريا، ٢٠٠٢، ص. ٩.

تتعلق بأي محيط ثقافي، ومسلّماتها قابلة للتطبيق في كل مكان. ومعنى هذا أن فكرة العالم المُعاش تعني عالم الموجودات وعالم التجربة الذاتية[1]

**٦- ثيودور أدورنو (١٩٦٩-١٩٠٣)**

يُعدّ أدورنو ناقدا أدبيا وفيلسوف جمال أثّر في فلاسفة مدرسة فرانكفورت كثيرا، وخاصة الجيل الثاني منهم، وله تأثير كبير على هابرماس في فكرة التشيؤ والاغتراب، وفكرة العقل الأداتي، ونظرية الفعل التواصلي[2]. إن هابرماس كان يصف نفسه بتلميذ أدورنو، إذ كانت المداخلات التي يقوم بها يمكن أن تُفْهَم على أساس أنها مجرد تعليقات على أقوال أدورنو.[3]

**ثالثاً: مدرسة فرانكفورت: مكانتها وتأثيرها على هابرماس.**

مدرسة فرانكفورت هي التيار الذي تحقق في فرانكفورت بقرار من وزارة التربية بالاتفاق مع معهد الأبحاث الاجتماعية في تاريخ ٣ فبراير ١٩٢٣. إن هذه المؤسسة أو المعهد ارتبط اسمها بمجموعة من أكاديميين ومفكرين وفلاسفة وعلماء نفس واجتماع. ومنهم من يتبنى المنهج النقدي ومنهم من يتبنى المنهج التراثي الماركسي. وأن المعهد نفسه تأسس على أعقاب اجتماعات ماركسية استمرت مدة طويلة، نتج عنها حاجة لتكوين مؤسسة تلمّ طموحاتهم وطروحاتهم، وهذه المؤسسة تُعتبر ممثلا أكاديميا ورسميا لهم، والذي مثّل بدوره جانبا من مدرسة فرانكفورت. وأن منشأ هذا المعهد هو مبادرة من فليكس ف. فايل (F. Weil)، رجل أعمال وأكاديمي حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية[4]، والذي قدّم مذكرة حول إنشاء معهد للبحث الاجتماعي موجهة إلى القائم على جامعة فرانكفورت. وفي هذه الوثيقة، التي تمثل العلامة الأولى على نشوء عقلية ما أصبح مشهورا فيما بعد باسم "مدرسة

[1] ينظر:علوش، نور الدين. "نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس: قراءة في المنطلقات والأبعاد.
[2] ينظر: المصدر نفسه.
[3] يُنظر: هابر، ستيفان: هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة وتقديم: ممد حديدي، منشورات الاختلاف – دار الإيمان، الجزائر، ط١، ٢٠١٢، ص. ٢١–٢٢.
[4] المحمداوي، علي عبود: بقايا اللوغوس "دراسات في تفكك المركزية العقلية الغربية"، منشورات ضفاف، ط١، بيروت، ٢٠١٥، ص. ٦٠.

فرانكفورت"، وأيضا إن فريدرش يولاك وماركس هوركهايمر، الذي أصبح مديرا للمعهد فيما بعد، كانوا هم المخططين الرئيسيين وراء هذا التأسيس.[١]

يُعد هذا المعهد مرحلة تتويج للحلقات الأسبوعية الماركسية التي كان يحضرها فئة من الماركسيين الذين حاولوا إبراز مفاهيم الماركسية، وذلك من خلال الكتابة والفعل الثقافي، منهم لوكاش وكورش وغرينبرغ وآخرون. وكان أول مدير لهذا المعهد هو كارل غوتنبرغ، وشغل هذا المنصب فترة من الزمن.[٢]

يُطلق على هذا التيار اسم النظرية النقدية التي تدعو وتؤكد على الحداثة الفلسفية، ويمثل أهم تيار مقابل للاتجاهات الحالية التي ترى أن الذي استنفذ مهامها هي الحداثة. وقد نشأ عام ١٩٣١ ملحقا للمعهد بجنيف. ويُطلق على هذه المدرسة أسماء متعددة مثل: مدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية، والحقيقة أننا نجد أن التسمية التاريخية تسمية مكانية تتحدد بالمكان الذي أُنشئت فيه، وتوجد مفارقة في هذه التسمية كما يتضح في التوسعات التي تمت على معهد الأبحاث الاجتماعية، والذي اتخذ فيما بعد اسم النظرية النقدية.[٣]

يُعد اسم مدرسة فرانكفورت اصطلاحا فضفاضا استُعمل بأثر رجعي، أما الاسم الذي أطلقه فريق هوركهايمر فهو: النظرية النقدية للمجتمع[٤]. ويمكن التمييز في الواقع بين مراحل أربع واضحة المعالم في تاريخ المعهد أو في مدرسة فرانكفورت:

المرحلة الأولى: تقع بين عامي ١٩٢٣-١٩٣٣ حين كانت البحوث المنسوبة للمعهد متنوعة، ولم يكن المعهد يستوحي أثناءها مفهوما معينا في الفكر الماركسي كما تجسدت بعدها في النظرية النقدية، بل كانت البحوث التي تقوم بها المدرسة لا تنصب في مجال

[١] سلتيير، فيل: مدرسة فرانكفورت – نشأتها ومغزاها: وجهة نظر ماركسية، ترجمة: خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٤، ص٢١.

[٢] ينظر: المحمداوي، علي عبود: بقايا اللوغوس "دراسات في تفكك المركزية العقلية الغربية"،ص٦٠.

[٣] ينظر: ابو النور حسن ، ابو النور حمدي: الاخلاق والتواصل، التوير للطباعة والنشر ،ط١، بيروت ،٢٠١٢،ص١٨.

[٤] ينظر: سلتير، فيل:مدرسة فرانكفورت –نشاتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية ، ص٥٧.

معين بل تشمل جميع مجالات الحياة، ولم تكن مرتكزة على مفهوم معين، بل كانت قائمة على تشكيلة واسعة من المعطيات المتعلقة بكل جوانب الحياة، ومهمتها تفحص كل تعبير من تعابير الحياة والمجتمع .[١]

المرحلة الثانية: هي مرحلة المنفى في أمريكا الشمالية ما بين عامي ١٩٣٣–١٩٥٠، والتي ترسخت فيها بشكل حاسم الأفكار المميزة للنظرية النقدية الهيغلية الجديدة.[٢]

المرحلة الثالثة: مرحلة التأثير الفكري والسياسي الأكبر، والتي وصلت إلى ذروتها أواخر الستينات مع النمو المتسارع لحركة الطلبة الراديكالية.[٣]

المرحلة الرابعة: والتي كانت بين عامي ١٩٦٩-١٩٧٣، انحسر تأثير مدرسة فرانكفورت، وحادت في سنواتها الأخيرة بعيدا عن الماركسية التي وهبتها الحياة في الأصل، وأخذ تناولها الإجمالي للنظرية الاجتماعية في الابتعاد عن الأشكال الجديدة والمتجددة في الفكر الماركسي.[٤]

## أجيال مدرسة فرانكفورت

الجيل الأول يتمثل بماكس هوركهايمر وأدورنو، وإريك فروم، وهربرت ماركيوز. أما الجيل الثاني فبدأ اقترانه مع يورغن هابرماس الذي قام بإعادة قراءته للماركسية وإعادة بنائها من جديد، ونقد للقيم الوضعية بوصفها علموية، ونقده لرواد مدرسة فرانكفورت نفسهم، ولا سيما اختزالهم موضوع العقلانية بالأداتية. أما الجيل الثالث، فتتمثل هذه المحطة بشخصيات ألمانية جديدة من أهمهم أكسل هونيث، الذي لعب دورا في تمثيل النظرية النقدية حتى يومنا هذا.[٥]

[١] ينظر: بوتور،توم: مدرسة فرانكفورت، ت:سعد هجرس ، مراجعة محمد حافظ دياب، دار اوبا للنشر، ط٢، ٢٠٠٤، ص٣٩.
[٢] ينظر: المصدر نفسه ، ٤٠.
[٣] ينظر: المصدر نفسه ،ص٤١.
[٤] ينظر: المصدر نفسه ، ٤١.
[٥] ينظر: المحمداوي، علي عبود: بقايا اللوغوس "دراسات في تفكك المركزية العقلية الغربية"،٨٩-٦٩ص.

## هابرماس والنظرية النقدية

إن نظرية هابرماس النقدية تهتم بالتفاعل الرمزي المُشَكَّل عبر اللغة وتهمل التعليل على مستوى الإنسان[1]، وذلك استنادا إلى حقيقة مهمة، وهي أن على الفرد أن يستوعب أدوار الآخرين والتفاعل معهم، وذلك لأن المعنى موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين الآخرين. وعلى هذا، فإن هابرماس يتبنى حركة التحول اللغوي ويرى أن هذا لن يقود إلى التخلي عن الأمل في تحقيق المعرفة الكلية والأخلاق الكلية، وممكن أن نجد معايير لمثل هذه في فلسفة اللغة أو ربما اللغة ذاتها. وأن نظرية هابرماس النقدية تُعد بمثابة أخلاق جديدة للتعايش والحوار من أجل الحوار والتواصل وخلق تفاعل في المجتمع لتحقيق المعرفة وفق مبدأ خلقي قائم على أسس خلقية. وهذه الفكرة هي أساس نظرية هابرماس النقدية ومنطلقاتها، وأن هابرماس في أعماله الأخيرة، وخاصة (نظرية فعل التواصل)، توجّه إلى فلسفة اللغة ابتغاء توسيع النظرية النقدية أساسا.[2]

## مدرسة فرانكفورت والعقلانية الاداتية

كان لمفكرين كثيرين وفلاسفة تنبؤات، ولرواد مدرسة فرانكفورت (هوركهايمر وأدورنو وهابرماس) رؤية كأنها تقول: لقد أخطأت أوروبا (الغرب) بحداثتها حين أنتجت رؤى جديدة لتكون مفاجأة لعالم الإنسان المعيشي، فقد حوّلته من الصيغة الروحية إلى حالة من المادية والعقلانية المفرط فيها سلوكا مفروضا على البشرية، سلوك جديد في إقصاء الإنسان لذاته الإنسانية، وتأكيد صيغة المنطق والعقل التي توغلت في أوروبا على نحوٍ اضطهادي مهيمن، بدأ تدريجيا يخلق إنسانا معاصرا متجددا، لا روح فيه ولا مغامرة يمتلكها، إنسانا فقد معنى أن يكون معاصرا. فقد أصبح بلا إحساس، ميّالا نحو موته، وهو الميل نفسه الذي يقتل شكل الحضارة عموما.

[1] ينظر: هابرماس ، يورغن: العلم والتقنية كـ"ايديولوجيا" ، ص٥٧-٥٦.
[2] كريب، إيان. النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. ترجمة محمد حسن غلوم، مجلة عالم المعرفة، عدد ٢٤٤، الكويت، ١٩٩٩، ص٣٣.

ولقد نقد هوركهايمر وأدورنو فكرة الهيمنة التي سادت في عصر التقنية والعقلانية الأداتية التي تهيمن على المجتمعات، واصفين إياها بالعقلانية الاضطهادية والقمعية التي تحوّل كل شيء إلى أدوات، أو تحوّل كل العقول إلى أدوات، والسؤال: "هل أن هناك عقولا تتحول تحت هيمنة العقل الأداتي إلى أدوات؟[1]" والجواب يكون حسب رؤيتنا أن الإنسان العصري قد أعطى تلك الهيمنة السلعية والتقنية الأداتية الثقة الكبيرة، فقد رآها تسيطر على طبيعته، وتختزل الزمن، وتقلص الحوادث، وتقلل الجهد، لذلك آمن بها، بل أكثر من ذلك، فقد أخضع ذاته لها. فهذا هو إنسان العالم العصري الذي يرى أن شخصا ما يجب أن يفكر عنه. العصري الآلي، العقلي، المنطقي، النمطي، النسقي، إنه عالم آلات لا متناهٍ، هذا هو عالم الصناعة: شخص يخترع آلة ويستخدمها الجميع لخدمة مصالحهم، لتسيير حياتهم، إنه شكل العالم.

عالم تحويل الصيغة البشرية إلى رؤية، إنه عاجز أمام قدره، ومصيره، وإحساسه بأنه فقد عالمه، لأنه بدأ يتكئ على جهود آخرين ينتظر أن يكتشفوا له حلولا لهذه الحياة المُرّة، فلا سعي لهم، ولا هدف، وفكرة المخلّص هذه انتقلت على نحو حداثي من المخلّص الديني إلى المخلّص الآلي، المخلّص الذي يجعل الحياة أكثر بساطة، فهو يسهّل على الإنسان الجهد، ويضعه في موقع الراحة من التفكير في مصيره، لكنه لا يدرك البؤس الذي يعيش معه، فهو لم يعد قادرا على إزالة الفكرة من العقل كما قد وثق بهذا العالم الذي صنعوه، وهذا الأمر أشبه بالوثوق بالحضارة العلمية في الواقع، هذه الثقة التي أدّت إلى دمار الإنسانية تماما وجعلها بؤسا مستمرا[2]. لأن الإنسان قد وقع أسيرا لسيطرة رأسمالية تمتص الذات الإنسانية تدريجيا وتحول هذا الإنسان إلى مجرد أداة غارقة في البؤس اللامُتناهي تحت تسمية العقلانية الأوروبية أو العقلنة حسب رؤية "ماكس فيبر"، والتي علّق عليها "هربرت ماركيوز" على أنها ليست عقلانية بالمعنى الدقيق والصحيح، بل إنها شكل من السيطرة السياسية غير المعترف بها يتحقق باسم هذه العقلانية. لأن عقلانية من هذا النوع تمتد لتصل إلى الاختبار الصحيح بين

[1] عبيس، مطلب، ورائد. "نقد هابرماس للعقلانية الأداتية." يورغن هابرماس: العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي في نقد العلموي والديني والسياسي، مجموعة مؤلفين، بإشراف وتحرير علي عبود المحمداوي والناصر عبد اللاوي، ط ١، لبنان، ٢٠١٣، ص. ١٧٧.

[2] كافكا، فرانز: تحريات كلب، ت:كامل يوسف حسين، بيروت، ١٩٨٦، ص.١٢

الاستراتيجيات والاستخدام المناسب للتقنيات، والتأسيس الهادف لمنظومات تتملص من علاقة المصالح الاجتماعية، كما تتملص من إعادة تكوين عقلانية جديدة وتطالب بنمط الفعل والسيطرة، سواء أُطبق ذلك على الطبيعة أم على المجتمع ضمنا. الفعل العقلاني الهدف منه هو – طبقا لبنيته – ممارسة الضبط. لذلك فإن عقلنة علاقات الحياة حسب معيار هذه العقلانية تتساوى بمعناها مع مأسسة سيطرة لا تُصبح معروفة بوصفها سيطرة سياسية: إذ لا يتخلى العقل التقني لمنظومة اجتماعية للفعل العقلاني الهدف عن مضمونه السياسي .[1]وهذا يدل على أن التجربة التي أراد منها ماكس فيبر أن تكون عقلانية بمعنى ضبط شروط الحياة بينما يراها ماركيوز أنها مجرد تخويل للعقل بأن يدخل في إطار الإيديولوجية والسياسة من أجل السيطرة على الحياة بواسطة العقلية التقنية أو العقلية الأداتية. لذلك كان نقد ماركيوز يصل إلى الاستخلص: ربما كان مفهوم العقل التقني ذاته إيديولوجيا، وليس استخدام التقنية بدءا، إنما التقنية ذاتها سيطرة على الطبيعة والإنسان، سيطرة منهجية علمية محسوبة وحاسبة[2] ويكون هدف هذه السيطرة هدف مادي وينتمي إلى حد ما إلى صورة العقل التقني ذاته[3] . أي إن التقنية إذا ما دخلت في مجال السياسة أصبحت أداة قمعية هدفها إخضاع الفرد للحاجات التي توفرها، وبالتالي يكون هذا الفرد راضخا تحت هيمنة العقل الأداتي وفاقدا لحريته.

## نقد العقل الأداتي

أن الفرد العصري في المجتمع الغربي قد آمن بأن من يمتلك القوة هو من يقود المجتمع بغض النظر عن أهمية الفرد وحقوقه وقدرته على صناعة الحضارة وبناء المجتمع. وقد شهد هوركهايمر وأدورنو في مجتمعهما ما حدث من حروب وابادات جماعية في أوروبا. وقد رأوا أن السبب يرجع إلى العقل الأداتي والتقنية. ولقد كان قبلهما نيتشه وديستوفيسكي خائفين من العلم والتكنولوجيا ومن المادية وعرفانية الكنيسة بكتابتهم

[1] ينظر: هابرماس ، يورغن: العلم والتقنية كـ"ايديولوجيا" ، ص٤٤.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ص٤٤-٤٥.
[3] ينظر: المصدر نفسه، ص٤٥.

للوجدان الإنساني، سيغربان الإنسان عن نفسه[1]. أي إنه سيفقد حريته وسيفقد ذاته التي لن يجدها وسط هذا التقدم. فالعقل الأداتي يهيمن على عقول أخرى فيحولها إلى أدوات، فالعقل العلمي يهيمن على المجتمعات الصناعية الإنتاجية، والعقل الديني يهيمن على المجتمعات الدينية، والعقل الأخلاقي يهيمن على المجتمعات التي تقوم على الأعراف والأخلاق[2]. (٣٧) كل تسمية من هذه التسميات إنما هي تعبير عن أداة محضة، فهناء يتضح لنا المفهوم الغائي أي أن لكل عقل بكل أشكاله العلمية والتقنية والدينية والأخلاقية إنما هي باتجاه شيء ثابت ونتائجه متحققة في الواقع، فهي كما ذكرنا سابقا عملية حسابية محسوبة بفضل أداتيته المطلقة فأصبح العقل الإنساني، الفردي، المجتمعي، خائرا من الفكر، وأصبحت الأصنام مرجعية كبيرة من قوانين غربت الفرد عن ذاته فأصبح يتجه إلى اللانشئية، إلى العدم الذي يحقق وجودا ثابتا هو وجود الخلاص من اللاجدوى لهذا العالم، العدم الذي أصبح تحقيقا لأقصى متطلبات العقل "الأداتي"، التي يعبر عنها بالفناء للحضارة والإنسان، فظهر النقد على لسان مدرسة فرانكفورت ليغير هذا الواقع المر ويخرج الإنسان من طابع العبودية، وأصبح ينادي بالحرية وتحرير الذات الإنسانية ونبذ اللاشئية، وتهديد العقل والعقلانية الأداتية والعلمية المفرطة "التي امتاز بها العقل الغربي" والعودة إلى ذلك الخطاب العقلي المتزن، الذي يريد صياغة العالم صياغة جديدة على وفق رؤية جديدة للعالم وتواصل مستمر للخلق والرؤية. كما أن كل تلك العواقب الوخيمة التي حدثت في أوروبا التي تركتها العلاقة غير الشرعية بحسب فلسفة فرانكفورت بين العلم والسياسة، أدت بأدورنو إلى ابتكار هذه التسمية أي العقل الأداتي[3]. بمعنى أن العلم إذا ما اقترب من السياسة أصبح مسيرا لأغراض الإيديولوجيا وأصبح الخبير سياسيا وقوضت كل أغراض العلم لأهداف سياسية وحروب ضحيتها الانسانية البشرية.

## جذور العقل الاداتي وتسمياته

[1] ينظر: ر. كارل. وليوهاماليان: الخيال الوجودي"دراسة في التجسيد الأدبي للفكر الوجودي"، ت: عبد الامير حميد، مجلة الاقلام، بغداد، ٢٠١٤، ص٧.
[2] ينظر: عبيس مطلب، رائد: نقد هابرماس للعقلانية الاداتية ، ص١٧٩.
[3] ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٠.

يرى هابرماس أن أدورنو هو من اكتشف أن في الميل الهيجلي إلى جعل النظرية علمية، وهو النواة الشاملة لعقل يبقى مع ذلك مستخدما كوسيلة فقط[١]. بمعنى أن الأداتية لها جذور مع هيجل بل أنها حسب وجهة نظرنا أقدم من الفترة الحديثة لكن ليس بالتسمية وإنما أن العقل الذي يجعل من الفرد تابعا أو مستخدما يرجع إلى بدايات الإنسان حيث تكونت الجماعات التي تعطي أفرادها مهام تقوم بها بهدف أغراض مختلفة أي أنها تنبع من المجتمع وتعود إليه بإرادته "ويرى أدورنو أن الفصل بين أبعاد العقل هو نتيجة لتقسيم العمل في المجتمع المعاصر، لاحكام مزيد من السيطرة على الإنسان، وينبغي دمج هذه التخصصات مع بعضها لكي يمارس العقل وظيفته في النقد. بمعنى إنتاج عقلانية نقدية في مقابل العقلانية الأداتية[٢].(٤٠)"

حين نحدد العقل ونعطيه تسمية معينة هذا يعني أننا جعلناه أداتيا وفيما يلي عبر التاريخ الفكري تسمياته المختلفة: العقل العملي، العقل النهضوي، العقل الانواري، العقل الحداثوي، العقل التقني، العقل الوضعي، العقل التجريبي، العقل الاستقرائي، العقل الرأسمالي، العقل الآلي، العقل النفعي، العقل الذرائعي، العقل التكنوقراطي، العقل الديني، العقل الأسطوري، العقل النخبوي .[٣]ويعد العقل الأداتي أو العقلانية النقدية بحق من المصطلحات الأساسية والجوهريّة في قضايا النظرية النقدية. فقد ظهر عند هوركهايمر من خلال كتابه "جدل التنوير" بالاشتراك مع أدورنو، وظهر كذلك في كتاب آخر له وهو "أفول العقل"، وظهر مع ماركيوز في مؤلفه "الإنسان ذو البعد الواحد". والعقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق التفكير وأسلوب في رؤية العالم.[٤]

ويرى أيان كريب صاحب كتاب "النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس" أن مصطلح الأداتية يحمل مضمونين، فهو أسلوب لرؤية العالم، وأسلوب لرؤية المعرفة النظرية، حيث يهتم بالأغراض العملية ويفصل الواقع عن القيمة، وأصبح يحكم

[١] ينظر: عبيس مطلب، رائد: نقد هابرماس للعقلانية الاداتية ، ص١٨٠.
[٢] ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٢.
[٣] ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٣.
[٤] أبو النور حسن، ابو النور حمدي : يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل ، ص ٤٦.

العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية سواء[1]. وهذان المضمونان يفسران في الحقيقة شكلين للأداتية، تحملهما معهما الأول هو الشكل الإنساني في الأداتية بصفتها الإيجابية، والشكل الثاني هو البعيد عن الإنسانية والذي يميز التفكير العصر الصناعي الحديث الغائي والنفعِي.





[1] ينظر: المصدر نفسه، ص٤٦.

## هابرماس ونقد العقل الأداتي

يعرف هابرماس العقل الأداتي على أنه منطق في التفكير وأسلوب في رؤية العالم، أي أن العالم الاجتماعي أصبح له طبيعة ثانية وأصبح غير قابل للتغيير ومستقلا عن أفعالنا[١]." وهذا يعني أن العقلانية الأداتية تقوم بتحويل العقل الذي هو دائما مصدر الحكمة ومصدر التفكير العقلي والإنساني إلى أداة في التنفيذ والتطبيق والسيطرة، وهذا يعني التعامل مع الفعل مثل آلة صماء، لا يحفظ الضمير ولا يداعب الأخلاق[٢]. فمكونات العقل الاداتي هي أن يكون علم مجرد: أي أن العلم بلا أخلاق، فالتقنية هي السيطرة ذاتها على الطبيعة والإنسان، فالتقنية مشروع تاريخي اجتماعي تنعكس فيه ما يريده المجتمع والمصالح المسيطرة إن تفعله بالبشر أولا[٣].(٤٦) وحسب رأي هربرت ماركوز أن العقلانية التقنية هي عقلانية محايدة في جوهرها إلا أنها تحولت إلى أيديولوجيا، وهذه حولت التقنية إلى عقلانية أداتية ترتبط بمفاهيم السيطرة والهيمنة والتشيؤ والاغتراب والتسليع، وهذا هو نفسه رأي هابرماس الذي يدعمه بالقول إن العقل الأداتي إذا استغل في السياسة الشمولية وفي تسييس الحياة الاقتصادية والاجتماعية واتخاذه وسيلة في الهيمنة والسيطرة، فهذا ليس ذنب العقل الأداتي بوصفه تكنولوچيا والتي ميدانها الطبيعة والمصنع وحقول التجريب[٤]. ويؤكد هابرماس في كتابه العلم والتقنية كأيديولوجيا أن التقنية في هذا العالم تقدم نفسها على أنها عقلنة كبيرة للحرية الإنسان، وتبرهن الاستحالة التقنية في أن يكون الإنسان مستقلا بشكل حيوي، ولهذا تبقى هذه التقنية الأداتية ما دامت ممزوجة بالأيديولوجيا. هي قيد على الإنسان يجب علينا نحن المختصين في الفلسفة إزالة هذا التزاوج ما بين التقنية والأيديولوجيا لكي نتخلص من التجريد الذي تمارسه تقنية السلطة إزاء الحريات وإزاء الوجود الإنساني بشكل عام[٥].

[١] عبيس مطلب، رائد: نقد هابرماس للعقلانية الاداتية ، ص١٨٥-١٨٤ .
[٢] ينظر: المصدر السابق ، ص١٨٥.
[٣] ينظر: هابرماس ، يروغن: العلم والتقنية كـ"إيديولوجيا " ، ص ١٠٣ .
[٤] ينظر: عبيس مطلب، رائد: نقد هابرماس للعقلانية الاداتية ، ص١٩٠.
[٥] ينظر:هابرماس ، يروغن: العلم والتقنية كـ"إيديولوجيا " ، ص٤٧.

## الاستنتاجات

- التقنية مشروع مزدوج بين الهيمنة والتحرر: يتضح من خلال تحليل الطرح الفرانكفورتي، أن التقنية لا يمكن اختزالها في كونها أداة قمع وهيمنة فقط، كما لا يمكن النظر إليها باعتبارها وسيلة محايدة. بل إنها تُعد مشروعا مزدوجا: فمن جهة، قد تُستخدم لخدمة السلطة الرأسمالية عبر تكريس السيطرة على الإنسان؛ ومن جهة أخرى، يمكن توظيفها كوسيلة للتحرر الفردي والاجتماعي، إذا ما ارتبطت بالوعي النقدي ومبادئ التواصل الحر.
- العقل الأداتي يُفرغ الإنسان من إنسانيته: بحسب هابرماس ومدرسة فرانكفورت، إن انغماس المجتمعات الحديثة في منطق العقل الأداتي حوّل الإنسان من كائن عاقل وفاعل إلى مجرد أداة ضمن منظومة إنتاجية أو سياسية أو تقنية. وبذلك، يغيب البعد القيمي والتواصلي، لصالح منطق التحكم والكفاءة والضبط، مما يؤدي إلى تراجع الفعل الحر، وتفاقم الاغتراب الوجودي.
- الهيمنة ليست فقط سياسية، بل معرفية وتقنية: يكشف النقد الفلسفي أن السلطة الحديثة لا تمارس قمعها من خلال أدوات العنف المباشر فقط، بل عبر توظيف أشكال عقلانية تبدو محايدة أو علمية، لكنها في جوهرها تسعى إلى الضبط والتحكم. وهكذا، تصبح التقنية والمعرفة وسيلتين للهيمنة الخفية، حين يتم فصلهما عن أفق التفاعل الإنساني والغايات الأخلاقية.
- هابرماس وتجديد مشروع الحداثة: من خلال نقده للرؤية الأداتية للعقل، لا يرفض هابرماس الحداثة، بل يسعى إلى استعادة بعدها الإنساني عبر "العقلانية التواصلية"، التي تقوم على الحوار والمشاركة وخلق فضاء عمومي عقلاني. وبهذا يتجاوز هابرماس الرؤية السوداوية التي سادت الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، دون أن يتخلى عن طابعها النقدي.
- الوعي النقدي شرط للتحرر من الهيمنة: بيّن البحث أن الخروج من منطق الهيمنة الأداتية لا يكون عبر رفض التقنية، بل عبر تفكيك علاقتها بالأيديولوجيا، وبناء

وعي مجتمعي قادر على التمييز بين الاستخدام المشروع والوظيفي للتقنية، والاستخدام المسيطر والمُفرغ للذات. وبهذا يصبح الوعي النقدي نقطة الانطلاق لتحرير الذات من الاستلاب.

- الفلسفة كفاعلية اجتماعية لا كخلاص نظري: كما يدل عليه مشروع هابرماس، فإن دور الفيلسوف لا يقتصر على تشخيص الظواهر، بل يتمثل في مشاركته الفعّالة في إعادة عقلنة الحياة الاجتماعية والسياسية، وتقديم بدائل خطابية تقوم على الإنصاف والعدالة. ومن هنا، تصبح الفلسفة ممارسة عقلانية موجهة لتحرير الإنسان، لا مجرد تأمل نظري في الواقع.

## الخاتمة

في ختام رحلة تلاقينا مع مدرسة فرانكفورت، نود أن نعرض أهم الأفكار التي تعرفنا عليها بدءا من مقولة الهيمنة، ومقولة السيطرة التقنية، وصولا إلى العقل التقني أو ما يسمى بالعقل الأداتي. وقد كان تناول هذه الأفكار قد قادنا إلى وعي جديد بموضوعات الهيمنة، سيطرة التقنية، والتي تعرفنا عليها مع أدورنو، والتي وصفها أو نعتها بالعقل التقني الأداتي الذي يهيمن على المجتمعات ويصبح الإنسان معها تدريجيا مجرد أداة خاضعة وبولاء تام، دون دراية منه أو بدراية منه. وهذا النوع من الهيمنة هو الهيمنة الرأسمالية الجديدة التي اتخذت من التقنية مسارا جديدا واستثمرتها في أغراض السيطرة على المجتمعات وإقامة الحروب التي دمرت البشرية فيما بعد. لذلك قرروا عدم الوقوف بصمت إزاء ما يجري في الواقع، الذي أصبح يشير بأصابع الاتهام نحو عقلنة أداتية غير محايدة، للتقنية جنّدت هذه التقنية في مسار خدمة مصالح السلطة غير المبالِية بالمجتمعات، بل إنها فقدت شعورها بالفرد في المجتمع حتى بدأ تأثير القمع هذا ينتقل دون وعي إلى الفرد نفسه، حتى أصبح أداة عمياء للسلطة دون وعي منه، مما أفقده الشعور بالتواصل مع الذوات الأخرى. لذلك جاء هابرماس بمشروعه النقدي المحايد لأشكال العقلانية التقنية، التي وصفها بشكل أكثر اتزانا، ولم يكن مناقضا للحداثة والعقلانية، وحتى لم يتنحّ عن العقل أو يتنازل عنه، ولم يرفض العلم والتقنية، وإنما أبعد التزاوج والترابط بين العلم والأيديولوجيا التي جعلت من العقلانية وسيلة للسيطرة والسلطة، وجردت الإنسان من إنسانيته وأوصلته إلى مزالق ومخاطر اللّاعقلانية.[1]

[1] حاجة ، ابن ناصر: هابرماس في التواصلية ونقد الهيمنة التقنية، بحث منشور ضمن كتاب : يورغن هابرماس "العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي في نقد العلموي والديني والسياسي"، مجموعة مؤلفين ، اشراف وتحرير : علي عبود المحمداوي والناصر عبد اللاوي ، لبنان، ط١،ص٢١٤.

## المصادر والمراجع


١. أبو النور، حسن، وأبو النور حمدي. الأخلاق والتواصل. التوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢.

٢. المحمداوي، علي عبود. الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل. ط١، بيروت، ٢٠١٥.

٣. المحمداوي، علي عبود. بقايا اللوغوس: دراسات في تفكك المركزية العقلية الغربية. منشورات ضفاف، ط١، بيروت، ٢٠١٥.

٤. بوتور، توم. مدرسة فرانكفورت. ترجمة: سعد هجرس، مراجعة: محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر، ط٢، ٢٠٠٤.

٥. حاجة، ابن ناصر. "هابرماس في التواصلية ونقد الهيمنة التقنية". بحث منشور ضمن كتاب: يورغن هابرماس: العقلانية التواصلية في ظل الرهان الأتيقي في نقد العلموي والديني والسياسي، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي والناصر عبد اللاوي، لبنان، ط١، ٢٠١٣.

٦. ر. كارل، وليو هاماليان. الخيال الوجودي: دراسة في التجسيد الأدبي للفكر الوجودي. ترجمة: عبد الأمير حميد، مجلة الأقلام، بغداد، ٢٠١٤.

٧. سلْتير، فيل. مدرسة فرانكفورت: نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية. ترجمة: خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٤.

٨. عبيس، رأد مطلب. "نقد هابرماس للعقلانية الأداتية". بحث منشور ضمن كتاب: يورغن هابرماس: العقلانية التواصلية في ظل الرهان الأتيقي في نقد العلموي والديني والسياسي، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي والناصر عبد اللاوي، لبنان، ط١، ٢٠١٣.

٩. علوش، نور الدين. "نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس: قراءة في تاريخ المنطلقات والأبعاد". بحث منشور في مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٣، تمت الزيارة في ٢٠١٨/٤/١٢: http://www.mominoun.com/articles.

١٠. فنلسون، جيمس جوردن. يورغن هابرماس: مقدمة قصيرة جدا. ترجمة: أحمد محمد الدويبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٥.

١١. كافكا، فرانز. تحريات كلب. ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت، ١٩٨٦.

١٢. كريب، إيان. النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. ترجمة: محمد حسن غلوم، مجلة عالم المعرفة، ع٢٤٤، الكويت، ١٩٩٩.

١٣. ليشته، جون. خمسون مفكرا معاصرا. ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

١٤. هابر، ستيفان. هابرماس والسوسيولوجيا. ترجمة وتقديم: ممد حديدي، منشورات الاختلاف، دار الإيمان، الجزائر، ط١، ٢٠١٢.

١٥. هابرماس، يورغن. العلم والتقنية كأيديولوجيا. ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٢.

١٦. هابرماس، يورغن. بعد ماركس. ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، سوريا، ٢٠٠٢.